التفسير الصوفى

بين

الإشارات المقبولة والشطحات المرزولة

أ.د / أبو عمر نادى بن محمود حسن الأزهر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ... نحمده ونستعينه ونستغفره ... ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ... من يهد الله فلا مضل له ... ومن يضلل فلا هادى له ... وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ : ٧١]

وبعد ....

فقد كان لبعض أهل التصوف محاولات فى التفسير تسمى بالإشارات يرون أنها إلهامات إلهية ، وتنزلات قدسية . بيد أن هذا الاتجاه فى التفسير دخله كثير من التزايدات والمبالغات والشطحات التى ليس لها أدنى نصيب من القبول . أو حظ من الأصول التى يبنى عليها علم التفسير . الأمر الذى حدا بطائفة من العلماء القدامى والمعاصرين إلى رفض هذا اللون من التفسير واعتبرته إلحاداً فى كلام الله تعالى . وارتضته طائفة أخرى واعتبرته من صفات الكمال والعرفان .. فكان موقف العلماء بين مؤيد ومعارض ، موافق ومخالف ، وتوسط بعضهم فقبل المقبول ونبذ المعلول من الإشارات .

وفى هذا البحث المتواضع محاولة للوقوف على حقيقة هذا الاتجاه فى التفسير ومدى صلته بمعانى القرآن ، مع استعراض لأدلة المؤيدين والمعارضين لهذا اللون من التفسير وبيان القول الفصل فيه . سائلاً المولى عز وجل السداد والتوفيق فى القول والعمل ، وأن يجنبنى الشطط والزلل . إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ... وصلى الله على البشير النذير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أ.د / أبو عمر نادى بن محمود حسن الأزهرى

تمهيد :

كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام . فيقال : مسلم ، ومؤمن . وبعد وفاته ﷺ لم يتسم من رآه وآمن به بتسمية " علم " سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها . فقيل : " الصحابة " .، ولما أدركهم العصر الثانى سمى من صحب الصحابة " بالتابعين " .

ورأوا ذلك أشرف سمة . ثم قيل لمن بعدهم عناية بأمر الدين . الزهاد والعباد ، وظاهرة الزهد جاءت كرد فعل مضاد للانغماس فى الترف الحضارى الذى ظهر عقب اتساع الفتوحات الإسلامية ، وازدياد الرخاء الاقتصادى . مما حمل بعضهم على الزهد الذى تطور بهم حتى صار لهم طريقة مميزة معروفة باسم الصوفية[1] بيد أن لفظ " الصوفية " لم يكن مشهوراً فى القرون الثلاثة الأولى ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك ..

وتنازعوا فى المعنى الذى أضيف إليه الصوفى . والمشهور الأرجح أنه نسبة إلى لبس الصوف[2] . فإنه أول ما ظهرت الصوفية فى البصرة . فكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر أهل الأمصار . ولأجل ما وقع فى كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه . تنازع الناس فى طريقهم ، فطائفة ذمت " الصوفية والتصوف "وقالوا : إنهم مبتدعون ، خارجون عن السنة ، وطائفة غلت فيهم ، وادعوا أنهم أفضل الخلق ، وأكملهم بعد الأنبياء .

وكلا طرفى هذه الأمور ذميم – كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميه – والصواب " . أنهم مجتهدون فى طاعة الله ، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله . ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده . وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين ، وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب .

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه ، عاص لربه . وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة . ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم : كالحلاج[3] مثلاً ، فإن أكثر

---

(١) انظر : اللمع ص (٤٢) وتلبيس إبليس ص (١٨٤) ، و "الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة " ص (٣٣٩) . ومقدمة ابن خلدون فى (٥١٧) .

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون فى (٥١٧) و " التصوف الإسلامى نشأته وتطوره " ص (٩) .

(٣) الحلاج هو الحسين بن منصور قتل بسيف الشرع (٣٠٩هـ) . انظر طبقات الصوفية ص (٢٣٦) وسير أعلام النبلاء (١٤ / ٣١٣) .

مشائخ الطريق أنكروه ، وأخرجوه عن الطريق . مثل الجنيد بن محمد[1] " سيد الطائفة " وغيره . فهذا أصل التصوف[2] .

وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ الألفين . مرجعها كله لصدق التوجه إلى الله تعالى ، وإنما هى وجوه فيه . فمن له نصيب من صدق التوجه ، له نصيب من التصوف . وأن تصوف كل أحد صدق توجهه [3].

هذا .. ولم يتوقف مفهوم التصوف عند هذا الحد . وإنما انحرف به البعض وجنحوا تبعاً لأهوائهم . إلى الحلول والاتحاد . ووحدة الوجود متأثرين فى هذا بالفكر الأجنبى والفلسفات البغيضة التى تشتمل على مفاهيم غريبة عن الإسلام ، وانحرافات عن تعاليمه الأصيلة . وهذا النوع من التصوف الفلسفى أو البدعى ينبغى رفضه والتحذير منه . والتأكيد على بعده وتناقضه مع تعاليم الإسلام .

طريقة الصوفية فى التفسير :

حاول الصوفية منذ أقدم العصور أن يجدوا لمبادئهم مستنداً من النصوص القرآنية . وأن يتخذوا من القرآن عمدة فى تأييد طريقهم . وهم يرون أن النص القرآن تحتجب وراء دلالته اللفظية أفكار عميقة ومعان دقيقة . ويرون أن المعنى الحقيقى للتنزيل الإلهى لا يتناهى عند هذه البسائط البادية من ظاهره ، وأن هناك معنى ظاهراً ومعنى باطناً . وأن الأعم هو المعنى الباطن ، ولذلك يقول ناصر الدين خسروا : " تفسير النص بالظاهر هو بدن العقيدة ، بيد أن التفسير الأعمق يحل محل الروح ، وأنى يحيا بدن بلا روح "[4] .

وهم يقولون : بعلم الإشارة ، وهو علم ما فى القرآن من أسرار عن طريق العمل به ، ويسمون هذا مذهب أهل الصفوة فى المستنبطات الصحيحة فى فهم القرآن . والصوفية يقولون أيضاً بأن تحت كل حرف من حروف القرآن كثيراً من الفهم ، وهو مذخور لأهله على قدر ما قسم لهم من ذلك . ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس : ١٢] وقوله سبحانه : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١] .

وقالوا : إن معنى " من شئ " من شئ من علم الدين ، وعلم الأحوال التى بين الخلق وبين الله تعالى وغير ذلك . إنما يصل الإنسان إلى ذلك إذا تدبر فى القرآن وتفكر وتيقظ وأحضر

---

(١) الجنيد بن محمد من أئمة القوم وسادتهم (٢٩٧هـ) . انظر تاريخ بغداد (٧ / ٢٤٩) وسير أعلام النبلاء (١٤ / ٦٦) .

(٢) مجموع الفتاوى " لابن تيميه (١١ / ٥) وما بعدها ملخصاً .

(٣) قواعد التصوف ص (٢١) القاعدة الثانية . للشيخ أحمد بن زروق الفاسى .

(٤) انظر : قصة التفسير " لأحمد الشرباصى ص (١٢٨) .

قلبه عند تلاوته ، لأن الله تعالى يقـــول : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] .

والمهم هنا حضور القلب لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق . ٣٧][1] .

وقال أبو سعيد الخراز[2] : (كلما بدا حرف من الأحرف من كتاب الله عز وجل علـــى قدر قربك . وحضورك عنده فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر . وعلى قدر المحبة ، وصفاء الذكر ووجود القرب يقع التفاوت فى الفهم)[3] .

وقال سهل بن عبد الله[4] : لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى فى آية من كتاب الله تعالى من الفهم . لأنه كلام الله تعالى ، وكلامه صفته .

وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وإنما يفهمون على مقدار ما يفـــتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيـــه فهوم الخلائق لأنها محدثة مخلوقة[5] .

والصوفية يقررون أن طريق الفهم العميق للقرآن الكريم مفتاحه العمل بـــالقرآن ولـــذا يقول أبو سعيد الخراز : أول الفهم لكتاب الله العمل به . لأن فيه العلم ، والفهم ، والاستنباط ، وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة ، لقول الله عز وجـــل : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] ، وقال تعـــالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾ [الزمر : ١٨] .

---

(١) انظر " اللمع " ص (٣٤ ، ١٠٥) . وكتاب " الأصلان فى علوم القرآن " ص (١٣٠) .

(٢) أبو سعيد الخراز واسمه أحمد بن عيسى (٢٧٩هـــ) . انظر ترجمته فى حلية الأولياء (١٠ / ٢٦٤) وطبقات الصوفية ص (١٨٣) .

(٣) اللمع ص (١٢٥) .

(٤) سهل بن عبد الله التسترى أحد أئمة الصوفية وعلمائهم (٢٨٣هـــ) . انظر حلية الأولياء (١٠ / ١٩٨) وطبقات الصوفية ص (١٦٦) .

(٥) اللمع ص (١٠٧) .

ويرون أن الذين تنكشف لهم الخزائن المذخورة تحت كل آية ، بل تحت كل حرف فى القرآن الكريم ، إنما هم الراسخون فى العلم ، الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب . وفى سر السر . يعرفهم ما عرفهم وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم . وخاضوا فى بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات ، فانكشف لهم من مذخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية فاستخرجوا الدر والجوهر ونطقوا بالحكم[1] .

وتكلفت طائفة من جهلة المتصوفة أنحاء غريبة فى التفسير ابتدعوها ، وفضول أقوال تكلفوها . ومسائل عويصة تجشموا الفكر فيها . فأصبح صنيعهم هذا أشبه بأن يكون صداً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه . وكيف لا ، وقد وزنوا الكلام فى التفسير بمخبول عقولهم ، وقياس هوى طبعهم ، وتركوا الأثر والاقتداء بالسنة ، وتأولوا القرآن بالهوى .

هذا .. وإن تفاسير المتصوفة يغلب عليها الشطحات التى تبعدهم عن النسق القرآنى . وتجعل كلامهم غامضاً إلا على المشتغل بالشئون الروحية الذى تعلم أساليب المتصوفة ومرن عليها .

---

(٦) اللمع ص (١١٣) .

المبحث الأول
التعريف بالتفسير الإشارى

هذا المصطلح مركب من كلمتين " تفسير " و " إشارى "

فأما التفسير فى اللغة : فمعناه الإيضاح والتبين قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣] أى : بياناً وتفصيلاً[١] .

وفى الإصطلاح : علم يفهم به كتاب الله تعالى المترل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه . فى حدود الطاقة البشرية[٢] .

والإشارة فى اللغة : التلويح بشئ يفهم منه المراد[٣] .

وفى الاصطلاح : عبارة عن إخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللسان[٤] .

وقال بعضهم : الإشارة ، الإبانة عما يتضمنه الوجد[٥] من المشار إليه لا غير ، وفى الحقيقة ، إن الإشارة تصحبها العلل ، والعلل بعيدة من عين الحقائق[٦] ، ومن ثم قال قوم: التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمن من التكلف ويبعد عن التحقيق[٧].

أما إذا كانت الإشارات الناتجة عن الوجد بعيدة عن التصنع ، قريبة من الصواب ولو بوجه من أوجه القبول المعتمدة لغة وشرعاً فلا بأس بها .

ولذا يقول سهل بن عبد الله التسترى : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل[٨] .

وقال الإمام الطبرى : وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نص كتاب ، ولا خبر رسول الله ﷺ ولا إجماع من الأمة ، ولا دلالة من بعض هذه الوجوه[٩] .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهرى مادة (فسر) .
(٢) انظر : البرهان فى علوم القرآن (٢ / ١٠٤) .
(٣) انظر : المصباح المنير ، والمعجم الوسيط مادة (شور) .
(٤) مصطلحات التصوف الإسلامى ص (٦٢) مادة (إشارة) د . / رفيق العجم ط : مكتبة لبنان .
(٥) الوجد : ما يكون عند ذكر مزعج ، أو خوف مقلق ، أو توبيخ على زلة ، أو محادثة بلطيفة ، أو إشارة إلى فائدة . انظر اللمع ص (٣٨٥) . وقيل : الوجد ما يصادف القلب بلا تكلف ولا تصنع . التعريفات للجرجانى ص (٣٢٣) .
(٦) انظر : حلية الأولياء (١٠ / ٣٨١) وطبقات الصوفية ص (٢٧١) .
(٧) الرسالة القشيرية ص (٦١) .
(٨) اللمع ص (١٤٦) .
(٩) تفسير الطبرى (٥ / ٤٤) .

ويرى المتصوفة أن الرياضة الروحية التى يأخذ بها الصوفى نفسه تصل إلى درجة ينكشف له فيها ما وراء العبارات القرآنية من إشارات قدسية ، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية ويسمى هذا بالتفسير الإشارى وعرف بعضهم هذا النوع من التفسير بقوله : تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأهل العلم والسلوك تقوم على التطابق بينها وبين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية ، بوجه من الوجوه الشرعية[1] .

الفرق بين التفسير الصوفى النظرى والإشارى

وقد ذكر الشيخ محمد حسين الذهبى وجهين للتفريق بين التفسير الصوفى الإشارى ، والتفسير الصوفى النظرى هما :

أولاً : أن التفسير الصوفى النظرى ينبنى على مقدمات تنقدح فى ذهن الصوفى أولاً ثم يترل القرآن عليها بعد ذلك .

وأما التفسير الإثارة فلا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات ، هذه الإشارات القدسية وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية .

ثانيا : أن التفسير الصوفى النظرى يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعانى وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه ، هذا بحسب طاقته طبعاً .

أما التفسير الإشارى فلا يرى الصوفى أنه كل ما يراه من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شئ . ذلك هو المعنى الظاهر الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره[2] . وقد نعى العلماء على هذا اللون من التفسير الصوفى النظرى وحملوا عليه وأشاروا إلى أن هذا الاتجاه فى التفسير سلكه فلاسفة الصوفية فيأبى هؤلاء إلا أن يحولوا القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصدونه هم ويرمون إليه . وغرضهم بهذا كله أن يروجوا لتصوفهم على حساب القرآن وأن يقيموا نظرياتهم وأبحاثهم على أساس من كتاب الله ، وبهذا الصنيع يكونون قد خدموا فلسفتهم التصوفية ولم يعملوا للقرآن شيئاً اللهم إلا هذه التأويلات التى كلها شر وإلحاد فى آيات الله .

هذا .. ولم نسمع أن أحداً ألف فى التفسير الصوفى النظرى كتاباً خاصاً يتبع القرآن آية آية كما ألف مثل ذلك بالنسبة للتفسير الإشارى . وكل ما وجدناه من ذلك هو نصوص متفرقة

---

(١) انظر : روح المعانى للألوسى (١ / ٧) ومناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى (٢ / ٧٨) ومباحث فى علوم القرآن . د . / صبحى الصالح ص (٢٩٦) . وأصول التفسير وقواعد للشيخ خالد عبد الرحمن العك ص (٢٠٥) .

(٢) التفسير والمفسرون (٢ / ٣٣٨) .

اشتمل عليها التفسير المنسوب إلى ابن عربى[1] وكتاب " الفتوحات المكية " له ، وكتاب " الفصوص "[2] له أيضاً كما يوجد بعض من ذلك فى كثير من كتب التفسير المختلفة المشارب[3] .

وهذا التفسير يعتبر من التفسير بالرأى المذموم ، لكونه مبنياً على أفكار خاطئة ، ونظريات باطلة ، وإذا أردت مثالاً على ذلك فانظر ما جاء فى التفسير المنسوب لابن عربى عند قوله تعالى : " ولسليمان الريح " إلى قوله : " وذكرى للعابدين " من سورة الأنبياء قال ما نصه : " ولسليمان الريح " اى سخرنا لسليمان العقل العملى ، والمتمكن على عرش النفس فى الصدر . ريح الهوى " عاصفة " فى هبوبها . " تجرى بأمره " مطيعة له " إلى الأرض " أرض البدن المتدرب بالطاعة والأدب . " التى باركنا فيها " بتمييز الأخلاق والملكات الفاضلة والأعمال الصالحة . " وكنا بكل شئ " من أسباب الكمال " عالمين ... " ومن الشياطين " شياطين الوهم والتخييل " من يغوصون له " فى بحر الهيولى الجثمانية ، ويستخرجون درر المعانى الجزئية " ويعملون عملاً دون ذلك " من التراكيب والتفصيل ، والمصنوعات ، وتهيج الدواعى المكسوبات وأمثالها . " وكنا لهم حافظين " عن الزيغ والخطأ والتسويل الباطل والكذب " وأيوب " النفس المطمئنة الممتحنة بأنواع البلاء فى الرياضة ، البالغة كمال الزكاء فى المجاهدة : " إذ نادى ربه " عند شدة الكرب فى الجد ، وبلوغ الطاقة والوسع فى الجهد ، " أنى مسنى الضر " من الضعف والإنكسار والعجز . " وأنت أرحم الراحمين " بالتوسعة والروح ، " فاستجبنا له " بروح الأحوال عن كد الأعمال ، عند كمال الطمأنينة ونزول السكينة ، " وكشفنا ما به من ضر " من ضر الرياضة بنور الهداية . ونفسنا عنه ظلمة الكرب بإشراق نور القلب " وآتينا أهله " القوى النفسية التى ملكناها وأمتناها بالرياضة بإيحائها بالحياة الحقيقية . " ومثلهم معهم " من إمداد القوى الروحانية وأنوار الصفات القلبية " ووفرنا عليهم أسباب الفضائل الخلقية ، وأحوال العلوم النافعة الجزئية " رحمة من عندنا وذكرى للعابدين "[4] .

فهذا التفسير ونظائره يحمل النصوص على غير ظاهرها . ويغرق فى التأويلات الباطنية البعيدة ، ويجر إلى متاهات من الإلحاد والزيغ . ويعلق الشيخ عبد العظيم الزرقانى فى " المناهل " بعد أن ساق النص السابق فيقول : هذا التفسير جاء كله على هذا النمط دون أن يتعرض لبيان المعانى الوضعية للنصوص القرآنية ، وهذا الخطر كل الخطر ، فإنه يخاف على مطالعه أن يفهم أن

---

(١) انظر ترجمة ابن عربى فى " سير أعلام النبلاء (٢٣ / ٤٨) ولسان الميزان (٥ / ٣١١) .

(٢) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء (٢٣ / ٤٩) : لا ريب أن كثيراً من عبارات له تأويل إلا كتاب الفصوص .. من أردأ تواليفه .

(٣) انظر : التفسير والمفسرون (٢ / ٣٢٧) .

(٤) تفسير ابن عربى (٢ / ٤٧) .

هذه المعانى الإشارية هى مراد الخالق إلى خلقه فى الهداية إلى تعاليم الإسلام ، والإرشاد إلى حقائق هذا الدين الذى ارتضاه لهم .

ولعلك تلاحظ معى أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر فدخل فى روعهم أن الكتاب والسنة بل الإسلام كله ما هى إلا سوانح وواردات ، على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات . وزعموا أن الأمر ما هو إلا تخييلات ، وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح ، فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعة ، ولم يحترموا قوانين اللغة العربية فى فهم أبلغ النصوص العربية .. كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، والأدهى من ذلك أنهم يتخيلون إلى الناس ، أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية ، واتصلوا فى زعمهم من رب الأرباب . وهذا – لعمر الله – هو المصاب العظيم الذى عمل له الباطنية وأضرابهم من أعداء الإسلام ، كيما يهدموا التشريع مع أصوله ويأتوا بنيانه من قواعده .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة :٣٢] فواجب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع فى هذه الشباك ، ونشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية ، ولا يعولوا على أشباهها مما ورد فى كلام القوم بالكتب الصوفية . لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقييد ، وكثيراً ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة ، والحق بالباطل ، وإذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد القائل . وإذا ظهر فقد يكون من الكفريات الفاحشة ، التى نستبعد صدورها من العلماء والمتصوفة بل من صادق عامة المسلمين . والتى نرى الطعن فيها بالدس والوضع ، أقرب وأسلم من الطعن فيمن عزيت إليه بالكفر والفسق[1] .

ونشير هنا إلى كلمة قيمة سطرها يراع الحافظ الذهبى يقول فيها : القادح فى محق الصوفية ، داخل فى حديث : " من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة "[2] ، والتارك لإنكار الباطل مما سعه من بعضهم تارك للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أ.هـ[3] .

موقف العلماء من التفسير الإشارى :

اختلف العلماء فى موقفهم من هذا اللون من التفسير فمنهم من قبله واعتبره من صفات الكمال والعرفان ومنهم من رده واعتبره إلحاداً فى آيات الله وخروجاً عن الحق . ومن أشهر الرافضين لهذا اللون من التفسير الإشارى قديماً الإمام أبو بكر بن العربى فيرى إبطال هذه

---

(١) مناهل العرفان (٢ / ٨٩) .

(٢) رواه البخارى كتاب الرقاق باب التواضع .

(٣) الموقظة فى علوم الحديث ص (٦٩) ط دار أحد .

الإشارات ، كلها ، حتى أنه بعد أن ذكر نحلة الباطنية[1] وذكر رسائل أخوان الصفا[2] أبطل القول أن يكون للقرآن باطن غير ظاهره ، وحتى أنه بعد ما نوه بالثناء على الغزالى فى تصدية للرد على الباطنية والفلاسفة قال : " وقد كان أبو حامد الغزالى بدراً فى ظلمة الليالى ، وعقداً فى لبة المعالى ، حتى أوغل فى التصوف ، وأكثر معهم التصرف ، فخرج عن الحقيقة ، وحاد فى أكثر أقواله عن الطريقة[3] .

هذا على الرغم من أنه فى كتابه " قانون التأويل " يظهر من كلامه عدم رفضه أو قبوله جملة لهذا اللون من التفسير الإشارى بل يستحسن بعضها ونص كلامه :

" .. ومن علم الباطن أن يستدل من مدلول اللفظ على نظير المعنى . وهذا باب جرى فى كتب التفسير كثيراً ، وأحسن ما ألف فيه كتاب " اللطائف والإشارات " للقشيرى – رضى الله عنه – وإن فيه لتكلفاً أوقعه فيه ما سلكه من مقاصد الصوفية ، فخذوا ما تعلمون ، وقفوا دون ما تجهلون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) أ . هـ[4] .

ويرفض هذا التفسير بعض العلماء المعاصرين فيقول :" وثمة ضرب من التفسير ابتدعه المتصوفون وهو المسمى بالتفسير الإشارى ، وهو تفسير يقوم على الشطح فى الذهن والجنوح فى التفكير . وهو تفكير واهم تائه لا يشده زمام ضابط ولا ترده ضوابط من العقيدة أو الشرع "[5] .

ومن أشهر العلماء القدامى الذين يرون قبول هذا النوع من التفسير الإمام أبو نصر السراج (٣٧٨هـ) وسماه إشارات القوم ومستنبطاتهم . اى : مستنبطات أهل الفهم من المتحققين[6] . والإمام أبو حامد الغزالى كما يظهر من كلامه فى " الإحياء " حيث يقول : " إذا قلنا فى قوله ﷺ : " لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة "[7] .

فهذا ظاهره أو إشارته أن القلب بيت وهو مهبط الملائكة ومستقر آثارهم ، والصفات الرديئة كالغضب والشهوة والحسد والحقد والعجب كلاب نابحة فى القلب فلا تدخله الملائكة وهو

---

(١) الباطنية : فرقة تسترت بالتشيع وحب آل البيت للوصول إلى الناس مع إبطان الكفر المحض . وسميت بذلك لأنها ترى أن لكل آية ظهراً وباطناً ، ويقصد بالظاهر ما جاء به النبى ﷺ وبالباطن علم التأويل الخاص بعلى بن أبى طالب وغرضهم إسقاط التكاليف .

(٢) إخوان الصفا : جماعة سرية باطنية زجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الإسلامية فى خليط متضارب . وأول ظهورها بالبصرة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى . وقد ألفوا ما يقارب الخمسين رسالة سموها رسائل أخوان الصفا.

(٣)انظر كتاب كيف نتعامل مع القرآن " للشيخ يوسف القرضاوى ص (٢٩٩) دار الشروق .

(٤) قانون التأويل (٢٠٧) .

(٥) انظر : دراسات فى علوم القرآن . د / أمير عبد العزيز ص (١٦٦) .

(٦) انظر اللمع ص (١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٤٧) .

(٧) رواه البخارى كتاب بدء الخلق ، باب : إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم .

مشحون بالكلاب . ونور الله لا يقذفه فى القلب إلا بواسطة الملائكة ، فقلب كهذا لا يقذف فيه النور . وقال : ولست أقول إن المراد من الحديث بلفظ البيت القلب ، وبالكلب الصفة المذمومة ، ولكن أقول هو تنبيه عليه ،وفرق بين تغيير الظاهر وبين التنبيه على البواطن من ذكر الظاهر أ.هـ[1] .

وقال الشيخ أبو الفضل الغمارى : الصوفية لهم فى فهم القرآن تلميحات وإشارات تدل على إلهامات إلهية ، وتنزلات قدسية . فكما استخرج علماء الأصول والفقه من ألفاظ القرآن والسنة بطريقة الإشارة أحكاماً تشريعية ، كذلك استخرج الصوفية بطريقها علوماً ربانية .

والتفسير الإشارى الذى سلكه الصوفية فى تفاسيرهم ، أنهم حين يتكلمون على آية من القرآن ، يقرون تفسيرها اللفظى كما ذكره المفسرون ، ويأخذون منها بعد ذلك معنى إشارياً يتصل بما يفيضون فيه من مقامات وأحوال ومعارف وأسرار .

وهو بالنسبة للتفسير اللفظى كنسبة المفهوم إلى المنطوق ، فكما أن المنطوق هو ما دل عليه اللفظ فى محل النطق مثل وجوب الصلاة المدلول عليه باللفظ : ﴿ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأنعام : ٧٢] كذلك التفسير اللفظى للآية ، وهو ما أفاده نظمها واقتضاه سياقها ، وكما أن المفهوم هو و ما دل عليه اللفظ فى محل النطق ، مثل تحريم الضرب للوالدين المدلول عليه بقوله ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء : ٢٣] لكن لا فى محل النطق لأنه غير منطوق به ، كذلك التفسير الإشارى هو ما استفيد من الآية لا بطريق لفظها وعبارتها[2] .

ومن يطالع تفسير " روح المعانى " للألوسى يرى أن صاحبه يتبنى هذا اللون من التفسير الإشارى بقوة فبعد أن ينتهى من تفسير الآيات بما يفهم من ظاهر العبارة يختم ذلك بالكلام عما يفهم منها بطريقة الإشارة . ويذكر فى مقدمة تفسيره فيقول : وأما كلام السادة الصوفية فى القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تتكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان ، لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلاً . وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفى الشريعة بالكلية وحاشى سادتنا من ذلك . كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا لابد منه أولاً إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر . ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب . أ . هـ[3] .

وقال الإمام التفتازانى : سميت الملاحدة باطنية لإدعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم ، وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية .

---

(١) إحياء علوم الدين (١ / ١٠٢) باختصار .

(٢) بدع التفاسير ص (١١٧) وما بعدها بتلخيص .

(٣) روح المعانى (١ / ٧) .

قال : وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، فهذا من كمال الإيمان ومحض العرفان[1] .

ونقل السيوطى عن ابن عطاء السكندرى فى كتابه " لطائف المنن " أنه قال : " اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعانى الغريبة . ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ، ودلت عليه فى عرف اللسان ، وثم إفهام باطنه تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه " . وقد جاء فى الحديث : " لكل آية ظهر وبطن " فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة : لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها . ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم[2] .

فهذه جملة من أقوال العلماء الذين رأوا قبول التفسير الإشارى ولم يعتبروه تفسيراً للقرآن وإنما رموزاً وإشارات إلى معانى باطنة تحتملها الآيات مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر وعدم معارضة كل منهما للآخر .

الفرق بين التفسير الإشارى وتفسير الباطنية

ومن هنا يعلم الفرق بين التفسير الإشارى وتفسير الباطنية . فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر ، بل يحضون عليه ويقولون : لابد منه أولاً . إذ ادعاء فهم أسرار القرآن الكريم مع عدم تحكيم الظاهر ، كادعاء بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب . وأما الباطنية فإنهم يقولون : إن الظاهر غير مراد أصلاً ، وإنما المراد الباطن وقصدهم فى الشريعة بالكلية كما اتضح من كلام الإمام التفتازانى آنفاً ولنستمع إلى صوت حجة الإسلام الغزالى فى هذا الشأن إذ يقل : (فالنقل والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير أولاً ، ليتقى به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط ... ولا يجوز التهاون بحفظ الظاهر أولاً ، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر[3] .

يقول الإمام الألوسى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة : ٤١] ليس ما نحن فيه – أى : التفسير الإشارى – من هذا القبيل – أى : من قبيل التفاسير الباطنية – كما يزعمه المحجوبون ، لأن ذلك إنما يكون بإنكار أن يكون الظاهر مراداً لله تعالى ، وقصر مراده سبحانه على هذه التأويلات . ونحن نبرأ إلى الله عز وجل من ذلك ، فإنه كفر

(١) العقائد النسفية وشرحها : سعد الدين التفتازانى ص ١٤٣ .
(٢) الإتقان (٢ / ١٢٢) .
(٣) إحياء علوم الدين (١ / ٤٤١) .

صريح . وإنما نقول : المراد هو الظاهر ، وبه تعبد الله تعالى خلقه ، لكن فيه إشارة إلى أشياء أخرى لا يكاد يحيط بها نطاق الحصر ، يوشك أن يكون ما ذكر بعضاً منها[1] .

وقال العلامة أبو العباس بن زرق الفاسى فى قواعد التصوف ، قاعدة رقم (٧٩) : أصل كل أصل من علومك الدنيا والآخرة ، مأخوذ من الكتاب والسنة ، مدحاً للممدوح . وذماً للمذموم ، ووصفاً للمأمور به ، ثم للناس فى أخذها ثلاثة مسالك :

أولها : قوم تعلقوا بالظاهر ، مع قطع النظر عن المعنى جملة . وهؤلاء أهل الجحود من الظاهرية ، لا عبرة بهم .

الثانى : قوم نظروا لنفس المعنى جمعاً بين الحقائق ، فتأولوا ما يؤول ، وعدلوا ما يعدل ، وهؤلاء أهل التحقيق من أصحاب المعانى والفقهاء .

الثالث : قوم أثبتوا المعانى ، وحققوا المبانى ، وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى ، وهم الصوفية المحققون ، والأئمة المدققون ، لا الباطنية الذين حملوا الكل عن الإشارة ، فهم لم يثبتوا معنى ولا عبارة ، فخرجوا عن الملة ، ورفضوا الدين كله . نسأل الله العافية[2] .

ومن ثم .. كان هناك اجتماع وافتراق بين تفسير الصوفية والباطنية . فقد اجتمعوا فى أن كليهما لا يعتمد اللغة العربية ودلالات الألفاظ ، ولا الاجتهاد والنظر العقلى المنطلق من هذه اللغة والدلالات ، والمؤسس على أصول الشريعة ومقاصدها ، وقواعد التفسير وحدود التأويل .

ووجه افتراقهما : ان الباطنية يفسرون الآيات بمعانيهم المنبوذة أو المكذوبة والتى اخترعوها ليعطلوا أحكام الشريعة ، أو ليقلبوا حكمة القرآن إلى معان سخيفة ، ثم يزعمون أن هذه المعانى هى المقصودة من القرآن ، فيكونون بذلك قد " فرغوا القرآن من معانيه أو من محتواه ، وخرجوا عليه وأبطلوا أحكامه ، ولهذا سموا ملاحدة كما قال الإمام التفتازانى .

أما أصحاب الإشارة أو التفسير الإشارى من الصوفية فيسلمون بأن المراد من القرآن تلك المعانى التى تدل عليها اللغة والتى يذكرها أهل العلم بالتفسير ، غير أنهم يذكرون عند تفسير الآية معانى أخرى إضافية ، وهى تلك التى تخطر فى أذهانهم أو تتراءى لهم عند التلاوة ، وإن لم تدل عليها الآية بطريقة من طرق الدلالات المعروفة فى استعمال اللسان العربى ومع هذا الفرق الواضح والبون الشاسع بين صنفى التفسير الباطن . فلا شك أن الاقتصار فى تفسير القرآن على ما يقتضيه اللسان العربى الذى نزل به القرآن يكفى لتقويم العقول ، وتزكية النفوس ، وإرشادها إلى وجوه الإصلاح الذى تدرك به السعادة فى الآخرة والأولى . كما يقول الشيخ محمد الخضر حسين – رحمه الله –[3].

---

(١) روح المعانى (٦ / ١٤٧) .

(٢) قواعد التصوف ص (٦٦) ط : دار الكتب العلمية .

(٣) انظر : فصول فى علوم القرآن ص (٢٣٥) د / عدنان محمد زرزور . ط : المكتب الإسلامى .

هل الإشارات تفسير ؟

التفسير بالمصطلح العلمى التقليدى لا يمكن تطبيقه على إشارات المتحققين من أهل التصوف . لأن الإشارات غير مرتبطة بالخط المنهجى للتفسير لاسيما اللغة العربية والتى يعد الإحاطة بها شرطاً أساسياً لتفسير القرآن .

ومن ثم .. لم يعتبروا ما وقع لهم من مواجيد ومعان هو تفسير للقرآن . ولكنه فيض من فتح لا يتعلق به حكم ولا يرتبط به واجب ومن ثم أطلقوا عليها إشارات وإطلاق اسم التفسير عليها يعد من قبيل العرف والمجاز .

قال الزركشى فى البرهان : كلام الصوفية فى تفسير القرآن قيل : إنه ليس بتفسير ، وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة ، ثم نقل عن ابن الصلاح فى فتاويه قوله : وجدت عن الإمام أبى الحسن الواحدى المفسر أنه قال :

صنف أبو عبد الرحمن السلمى " حقائق فى التفسير " فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر .

قال ابن الصلاح : وأن أقل الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك منهم لما ورد به القرآن .

فإن النظير يذكر بالنظير . ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك . لما فيه من الإيهام والالتباس[1] .

وقال ابن عاشور فى تفسيره : أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية فى بعض آيات القرآن من معان لا تجرى على ألفاظ القرآن ظاهراً ولكن بتأويل ونحوه فينبغى أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم فى ذلك تفسير للقرآن ، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها فى الغرض المتكلم فيه ، وحسبكم فى ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معانى ، فبذلك قولهم قول الباطنية[2].

ويفصل الإمام ابن تيميه القول فى هذه القضية فيقول فى الفتاوى : وجماع القول فى ذلك أن هذا الباب نوعان :

أحدهما : أن يكون المعنى المذكور باطلاً ، لكونه مخالفاً لما علم ، فهذا هو فى نفسه باطل ، فلا يكون الدليل عليه إلا باطلاً ، لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضى أنه حق .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن (٢ / ٣١١) .

(٢) التحرير والتنوير (١ / ٣٤) .

والثانى : ما كان فى نفسه حقاً ، لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك ، فهذا الذى يسمونه " إشارات " و " حقائق التفسير " لأبى عبد الرحمن فيه من هذا الباب شئ كثير .

وأما النوع الأول " فيوجد كثيراً فى كلام القرامطة[1] والفلاسفة المخالفين للمسلمين فى أصول دينهم .

فإن من علم أن السابقين الأولين قد رضى الله عنهم ورضوا عنه . علم أن كل ما يذكرونه على خلاف ذلك فهو باطل ، ومن أقر بوجوب الصلوات الخمس على كل أحد ما دام عقله حاضراً . علم أن من تأول نصاً على سقوط ذلك عن بعضهم فقد افترى . ومن علم أن الخمر والفواحش محرمة على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم أن من تأول نصاً يقتض تحليل ذلك لبعض الناس أنه مفتر .

أما النوع الثانى : فهو الذى يشتبه كثيراً على بعض الناس . فإن المعنى يكون صحيحاً ، لدلالة الكتاب والسنة عليه ، ولكن الشأن فى كون اللفظ الذى يذكرونه دل عليه ، وهذان قسمان :

أحدهما : أن يقال : إن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله ، فمن قال المراد بقوله : ﴿ تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة : ٦٧] هى النفس ، وبقوله : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ [النازعات : ١٧] هو القلب . ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح : ٢٩] أبو بكر ، " أشداء على الكفار " عمر ، " رحماء بينهم " عثمان " تراهم ركعاً سجداً " على : فقد كذب على الله إما معتمداً وإما مخطئاً .

والقسم الثانى : أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس ، لا من باب دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس . فالذى تسميه الفقهاء قياساً هو الذى تسميه الصوفية إشارة . وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل . كانقسام القياس إلى ذلك .

فمن سمع قول الله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٩] وقال : إنه اللوح المحفوظ أو المصحف ، فقال : كما أن اللوح المحفوظ الذى كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر . فمعانى القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة ، وهى قلوب المتقين . كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً . ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف . قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة ١ ، ٢] وقال : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] وأمثال ذلك وكذلك من قال : " لا تدخل الملائكة

---

(١) القرامطة : إحدى فرق الشيعة الإسماعلية وأول من دعا الناس إلى هذه الفرقة رجل يقال له : حمدان قرمط . و "قرمط " قرية من قرى واسط . نسبوا إليها ، وقيل نسبة لقرمطة فى خطوة وقيل فى خطه . وقرمطة الخط تتابعها .

بيتاً فيه كلب ولا جنب "[1] فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الإيمان . إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد . فقد أصاب قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١] وقال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف : ١٤٦] وأمثال ذلك .

وكتاب " حقائق التفسير " لأبى عبد الرحمن السلمى يتضمن ثلاثة أنواع :

أحدهما : نقول ضعيفة عمن نقلت عنه مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق . فإن أكثره باطل عنه ، وعامتها فيه من موقوف أبى عبد الرحمن .

والثانى : أن يكون المنقول صحيحاً ، لكن الناقل أخطأ فيما قال .

والثالث : نقول صحيحة عن قائل مصيب .

فكل معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل ، وحجته داحضة . وكل ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره إذا فسر به الخطاب فهو خطأ ، وإن ذكر على سبيل الإشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً .

وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن أو الحديث ، وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ، ملحد فى آيات الله . محرف للكلم عن مواضعه . وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد ، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام .

وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم : "-لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب .. الخ "[2] فهذا إذا صح عمن نقل عنه كعلى وغيره لم يكن فيه دلالة على الباطن المخالف للظاهر ، بل يكون هذا من الباطن الصحيح الموافق للظاهر الصحيح . وقد تقدم أن الباطن إذا أريد به ما لا يخالف الظاهر المعلوم فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً . أ . هـ[3] .

من خلال هذا النص يلاحظ أن الإمام ابن تيميه لا يعارض هذا اللون من التفسير الإشارى ما دام لا يعارض نقلاً ولا يخالف عقلاً ويشير إلى أن ما تريده الصوفية بالإشارات هو ما يريده الفقهاء بالقياس والاعتبار . ويصوب بعض هذه الإشارات ويرى أن معناها صحيحاً وهو الأكثر فى إشارات الصوفية – كما يقرر ذلك فى موضع آخر من الفتاوى[4] – ويرى أن ما نسب

---

(١) رواه أبو داود كتاب الطهارة رقم (٢٢٤) وأحمد فى المسند (١ / ٨٠ ، ٨٣) والحديث فيه نظر لذكر لفظ " الجنب " كما قال البخارى انظر عون المعبود (١ / ٢٦٠) والثابت " لفظ : فيه كلب أو صورة " .

(٢) ذكره السيوطى فى الإتقان (٢ / ١٢٢٣) من قول على – رضى الله عنه – : لو شئت أن أوقر سبعين بعيراً عن تفسير أم القرآن لفعلت .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيميه (١٣ / ٢٤٠) وما بعدها وانظر (٦ / ٣٧٧) .

(٤) المرجع السابق (٥ / ٥٥١) .

إلى بعضهم مردود القول ومرزول الكلام مكذوب على قائله وقد أشار إلى ذلك مرة أخرى باختصار فى الفتاوى فقال :

" ... فإن الشيخ أبا عبد الرحمن ذكر فى (حقائق التفسير) من الإشارات التى بعضها كلام حسن مستفاد ، وبعضها مكذوب على قائله مفترى . كالمنقول عن جعفر وغيره ، وبعضها من المنقول الباطل المردود[1] .

ويقرر أيضاً أن ما يدعيه الباطنية وأشباههم من التفسير الباطل والتأويل الفاسد هو تحريف للكلم عن مواضعه وكذب على الله ورسوله ، وليس من التفسير فى شئ ويؤكد هذا ويؤيده الشيخ عبد الحليم محمود فى كتابه : " قضية التصوف " فيقول :

هى إشارات لا تحرم حلالاً ولا تحل حراماً ، إنها ليست من نوع تأويلات الباطنية ، هذه التأويلات المنحرفة ، والتى يهدمها من أساسها فى سهولة ويسر عمل رسول الله ﷺ فقد طبق ﷺ دين الله تطبيقاً هوَ الأسوة التى تحتذى ، والتى إذا خرج الإنسان عن دائرتها فى الدين فإنه يكون خاطئاً ضالاً .

لقد أخرج رسول الله ﷺ وصحابته البررة الأصفياء الأوامر الإلهية والنواهى الإلهية عن دائرة النظريات إلى دائرة العمل ، وتحدد بذلك المعنى المقصود من الأوامر تحديداً لا لبس فيه ، وكل تأويل للأوامر والنواهى يخرجها عن أن تكون مطابقة لعمل الرسول ﷺ وعمل الصحابة فإنما هو تأويل باطنى ضال .

أما الإشارات التى نثبتها هنا فإنها إشارات روحية ترشد إلى معارج للروح تتسامى بإزدياد الإنسان فى القرب من الله عن طريق الاستقامة . أ . هـ[2] .

أدلة القائلين بهذا اللون من التفسير الإشارى :

لم يكن التفسير الإشارى بالأمر الجديد فى إبراز معانى القرآن الكريم ، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ .. أشار إليه القرآن ، ونبه عليه الرسول ﷺ وعرفه الصحابة — رضى الله عنهم — وقالوا به .

إما إشارة القرآن إليه ، ففى قوله تعالى : ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٧٨] ، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤]

فهذه الآيات كلها تشير إلى أن القرآن له ظهر وبطن ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى حيث ينعى على الكفار أنهم لا يفهمون نفس الكلام ، أو حضهم على فهم ظاهره ، لأن القوم

---

(١) المرجع السابق (٦ / ٣٧٦) .

(٢) قضية التصوف ص (٨٥) .

عرب ، والقرآن لم يخرج عن لغتهم فهم يفهمون ظاهره ولا شك . وإنما أراد بذلك أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب وحضهم على أن يتدبروا فى آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده ، وذلك هو الباطن الذى جهلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم[1] .

قال الإمام الألوسى : فلا ينبغى لمن له أدنى مسكة من عقل بل أدنى ذرة من إيمان أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده .

ويا ليت شعرى ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى : ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام ١٥٤] وقوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] ؟

ويا لله تعالى العجب كيف يقال باحتمال ديوان المتنبى وأبياته المعانى الكثيرة ولا يقول باشتمال قرآن النبى ﷺ وآياته وهو كلام رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين على ما شاء الله تعالى من المعانى المحتجبة وراء سرادقات تلك المبانى (سبحانك هذا بهتان عظيم)[2] .

وهناك روايات ثابتة يتجلى من خلالها وقوف الصحابة على بعض الإشارات القرآنية فمن ذلك ما روى أنه لما نزلت هذه الآية : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] وذلك يوم الحج الأكبر فرح الصحابة وبكى عمر ، فقال له النبى ﷺ : " ما يبكيك ؟ " قال : أبكانى أنا كنا فى زيادة من ديننا ، فأما إذ إن كمل فإنه لم يكمل شئ قط إلا نقص . فقال : صدقت[3] .

فعمر – رضى الله عنه – أدرك المعنى الإشارى وهو نعى رسول الله ﷺ وأقره النبى على فهمه هذا .. وأما باقى الصحابة .. فقد فرحوا بنزول الآية ، لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر لها[4] .

وعن ابن عباس : أن عمر – رضى الله عنه – سألهم عن قوله تعالى : " إذا جاء نصر الله وا لفتح " قال : فتح المدائن والقصور . قال : ما تقول يا ابن عباس ؟ قال : أجل ، او مثل ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه[5] .

ورأى ابن عباس إشارة على تغلب معاوية على جيش على – رضى الله عنهم – وولايته الملك . وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

يقول ابن كثير فى تفسيره[6] : وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة ، وأنه سيملك ، لأنه كان ولى عثمان ، وقد قتل عثمان مظلوماً –

---

(١) التفسير والمفسرون (٢ / ٣٣٩) وانظر الموافقات للشاطبى (٣ / ٣٤٦) واللمع ص (١٤٧) .
(٢) روح المعانى (١ / ٧) .
(٣) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف . وابن جرير فى التفسير (٦ / ٥٢) .
(٤) انظر روح المعانى (٦ / ٦٠) والتفسير والمفسرون (٢ / ٣٤١) .
(٥) صحيح البخارى كتاب التفسير باب : قوله " ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً " .
(٦) تفسير ابن كثير (٥ / ٧٠) .

رضى الله عنه – وكان معاوية يطالب علياً – رضى الله عنه – أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم ، لأنه أموى ، وكان على – رضى الله عنه – يستمهله فى الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ، ويطلب على من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية فى ذلك حتى يسلمه القتلة ، وأبى أن يبايع علياً هو وأهل الشام ، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة . وهذا من الأمر العجيب . وقد روى ذلك الطبرانى فى معجمه قال : حدثنا يحيى بن عبد الباقى حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن زهدم الجرمى قال : كنا فى سمر[1] ابن عباس فقال : إنى محدثكم حديثاً ليس بسر ولا علانية ، إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان – يعنى عثمان – قلت لعلى : اعتزل ، فلو كنت فى حجر طلبت حتى تستخرج – فعصانى – وأيم الله ليتأمرون عليكم معاوية ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ .. الآية[2] .

فهذه الأدلة تعطينا حقيقة واضحة لا ريب فيها أن القرآن له ظهر وبطن .. ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربى الذى نزل به القرآن . وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر ممن أخلصوا لله ففتح لهم من مكنون علم الكتاب . وأسبغ عليهم من أسرار القرآن ومعرفة الآيات ما شاء . ويقرر ذلك الإمام الزركشى فيقول : " وكتاب الله بحر عميق ، وفرعه دقيق ، لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر فى العلوم . وعامل الله بتقواه فى السر والعلانية ، وأجله عند مواقف الشبهات ، واللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد . فالعبارات للعموم وهى السمع ، والإشارات للخصوص وهى للعقل ، واللطائف للأولياء وهى المشاهدة . والحقائق للأنبياء وهى الاستسلام . على أن فهم كتاب الله تعالى لا غاية له ، كما لا نهاية للمتكلم به ، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه لبشر ، ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئاً[3] .

---

(١) قيل للحديث بالليل : السمر ، وسمر فلان : إذا تحدث ليلاً .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير رقم (١٠٦٣) وقال فى المجمع (٧ / ٢٣٦) فيه من لم أعرفهم . قلت : شيخ الطبرانى وثقه الخطيب وقال الذهبى : كتب الناس عنه فأكثروا لثقته وضبطه . تهذيب سير أعلام النبلاء رقم (٢٥٥٩) أبو عمير بن النحاس . إمام حافظ قدوة وثقه أبو زرعة وابن معين واثنى عليه . المرجع السابق رقم (١٩٩٨) . ضمرة بن ربيعة . وثقه أحمد وابن معين والنسائى وقال ابن سعد : كان ثقة مأموناً خيراً . المرجع السابق رقم (١٤٤٠) . عبد الله بن شوذب . إمام عالم وثقه ابن حنبل وغيره . المرجع السابق رقم (١٠٥٤) . مطر الوراق : صدوق كثير الخطأ تقريب رقم (٧٥٤٨) وانظر التهذيب رقم (٧٧٩٦) . زهدم الجرمى وثقه العجلى فى تاريخه رقم (٤١٠) وترجم له ابن أبى حاتم (٣ / ٦١٧) ولم يذكر جرحاً ولا تعديلاً . وقد توبع مطر الوراق عند عبد الرزاق فى المصنف رقم (٢٠٩٦٩) فأخرجه عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن زهدم – به . وأبو قلابة ثقة . فالحديث صحيح وعزاه لهما السيوطى فى الدر (٤ / ٣٢٨) .

(٣) البرهان فى علوم القرآن (٢ / ٢٩٠) وما بعدها بتصرف وتلخيص .

وقد كان لبعض المتحققين من مشايخ الصوفية دقائق فى التفسير ، لا تتفق لغيرهم لسمو أرواحهم ، ونور بواطنهم ، منهم الإمام السلطان الحنفى صاحب المقام المشهور فى القاهرة . سمعه يوماً شيخ الإسلام البلقينى يفسر آية فقال : لقد طالعت أربعين تفسيراً فما وجدت فيها شيئاً من تلك الدقائق[1] .

الأدلة من السنة

ومن الأدلة التى اعتمد عليها واستند إليها المؤيدون لهذا اللون من التفسير الإشارى : ما رواه ابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال :

" القرآن ذو شجون وفنون ، وظهور وبطون ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تبلغ غايته ، فمن أوغل برفق نجا ، ومن أوغل فيه بعنف هوى . أخبار وأمثال ، وحلال وحرام ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهره التلاوة وبطنه التأويل . فجالسوا به العلماء ، وجانبوا به السفهاء "[2] .

وروى عن أبى الدرداء أنه قال : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً "[3] ، وقال ابن مسعود : " من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن "[4] .

قال الألوسى : ومن المعلوم أن هذا لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر . وقد قال بعض من يوثق به : لكل آية ستون ألف فهم[5] ، وعن عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً : " القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد "[6] .

وأخرج الفريابى عن الحسن قال : قال ﷺ : " لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع "[7] .

---

(١) قصة التفسير ص (١٤٢) .

(٢) انظر الدر المنثور (٢ / ١٠) والإتقان (٢ / ١٢٢٠) وذو شجون : شعب متماسكة . وفنون : أنواع من العلوم . أوغل : دخل .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٠ / ٥٢٧) وأبو نعيم فى الحلية (١ / ٢١١) .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير (٩ / ١٣٦) رقم (٨٦٦٤ – ٨٦٦٦) . وقوله : " فليثور " اى لينقر ويفكر فى معانيه . كما فى النهاية لابن الأثير (١ / ٢٢٩) مادة (ثور) .

(٥) روح المعانى (١ / ٧) وانظر البرهان فى علوم القرآن (٢ / ٨٧) .

(٦) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير رقم (٣٤٩٥) للحكيم الترمذى ومحمد بن نصر . وقال المناوى : فيه كثير بن عبد الله اليشكرى متكلم فيه " قال العقيلى : لا يصح إسناده . ميزان الاعتدال (٣ / ٤٠٩) .

(٧) لهذا الحديث طريقان (الأولى) عن الحسن مرسلاً بهذا اللفظ أخرجها أبو عبيد فى " فضائله " باب : فضل علم القرآن والسعى فى طلبه ، وأبو نصر السجزى فى الإبانة . كما فى جمع الجوامع (١ / ٦٩٥) . (الثانية) من طريق ابن مسعود مرفوعاً بلفظ : " أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن " رواه ابن حيان (١٧٨١ – موارد) والبزار كما فى المطالب العالية رقم (٣٤٨٩) وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط ورجال أحدهما ثقات " والطبرى فى تفسيره " (١ / ٩) وانظر مجمع الزوائد (٧ / ١٥٢) .

ففى هذه الأحاديث تصريح بأن القرآن له ظهر وبطن ، ولكن ما المقصود بالظهر وما المقصود بالبطن ؟

فقيل : ظاهرها – أى الآية – لفظها ، وباطنها : تأويلها ، وقال أبو عبيدة : إن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين ، وباطنها عظة للآخرين .

ق ال الزركشى : وهو أقربها . يعنى إلى معنى الظهر والبطن . وقال السيوطى : وهو أشبهها بالصواب . ولكن هذا القول عن أبى عبيد خاص بالقصص فحسب ، ولفظ الأحاديث الواردة يعم كل آية من آيات القرآن .

وحكى ابن النقيب قولاً ثالثاً : وهو أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم ، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أهل الحقائق[1] .

هذا هو أشهر ما قيل فى معنى الظهر والبطن .

وأما قوله : " ولكل حرف حد " فمعناه على ما قيل : لكل حرف منتهى فيما أراده الله تعالى من معناه . أو لكل حكم مقدار فى الثواب والعقاب ، والأول أظهر .

وقوله : " ولكل حد مطلع " معناه على ما قيل أيضاً : لكل غامض من المعانى والأحكام مطلع يتوصل به على معرفته ويوقف على المراد به .

وقيل : الظهر التفسير ، والبطن التأويل ، والحد ما تنتهى إليه الفهوم من معنى الكلام والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام .

وقيل : الظاهر التلاوة ، والباطن : الفهم ، والحد : أحكام الحلال والحرام والمطلع : الإشراف على الوعد والوعيد[2] .

والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر ، والباطن أصل الظاهر ، كما قال أبو هريرة ، القلب ملك ، والأعضاء جنوده ، فإذا طاب الملك طابت جنوده ، وإذا خبث الملك خبث جنوده ، وقد قال النبى ﷺ : ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهى القلب[3] .

وفى المسند عن النبى ﷺ أنه قال : " الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب "[4] ، وقد قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢]

---

(١) انظر : البرهان فى علوم القرآن (٢ / ٣١٠) والإتقان (٢ / ١٢١٩) .

(٢) انظر : الموافقات للشاطبى (٣ / ٣٤٦) والبرهان فى علوم القرآن (٢ / ٢٩٠) . روح المعانى (١ / ٧) والإتقان (٢ / ١٢٢٠ و " التفسير والمفسرون " (٢ / ٣٤٠) .

(٣) رواه البخارى كتاب الإيمان باب : فضل من استبرأ لدينه .

(٤) مسند أحمد (٣ / ١٣٥) ورجاله رجال الصحيح ما خلا على بن مسعدة وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسى وأبو حاتم وابن معين ، وضعفه آخرون . كما فى المجمع (١ / ٥٢) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] وأمثال هذا كثير فى القرآن . وقال فى حق الكفار: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١] ، وقال : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ [البقرة : ٧] .

وأمثال ذلك[1] . مما يدل على أن صلاح الظاهر يدل على صلاح الباطن . فلا انحراف فى التفسير ولا تحريف فى التأويل ، بل ظاهر من التفسير مقبول ، وباطن من التأويل معقول . ولما كان الباطنية يتسمون بسوء النية وخبث الطوية تعمدوا أن يفسروا القرآن بما يتفق وعقيدهم الفاسدة ، ولم يعترفوا بظاهر القرآن واعترفوا بالباطن فقط . ولكنهم أيضاً تعمدوا أن يفسروا الباطن بما يتفق ونواياهم السيئة .

أما المتصوفة – أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة – فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يجحدوه كما أنهم أقروا بباطنه ، ولكنهم حين فسروا المعانى الباطنية ظهر فيها الغث والسمين . والصحيح والسقيم ، فبينما تجد لهم معانى مقبولة سائغة ، تجد فى مقابلها معانى لا يقرها عقل ولا مستند لها من نقل .

لذا وجب أن نشير إلى الضوابط والمعايير التى وضعها العلماء والشروط التى اشترطوها لقبول هذا الإشارات إذا توافرت فيها ، وضرب الذكر عنها إذا خلت منها .

الشروط التى يجب توافرها لقبول التفسير الإشارى :

مما سبق يتضح بجلاء أن هذا اللون من التفسير الإشارى لا يمكن أن يقبل كلية أو يرفض جملة وإنما يرد منه المرذول مما يصادم النقل أو العقل ، ويقبل من معان هذه الإشارات ما كان غير متكلف ، وغير بعيد عن دائرة الشريعة .

ومن ثم وضع العلماء ضوابط وقواعد لقبول هذا اللون من التفسير . فإذا روعيت هذه الضوابط وتلك القواعد قبلت عند أكثر العلماء كما يشير إلى ذلك الإمام ابن تيمية[1] .

وقال تلميذه ابن القيم : وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول : تفسير على اللفظ وهو الذى ينحو إليه المتأخرون ، وتفسير على المعنى ، وهو الذى يذكره السلف . وتفسير على الإشارة : وهو الذى ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شروط :

١ – ألا يناقض معنى الآية .

٢ – وأن يكون معنى صحيحاً فى نفسه .

٣ – وأن يكون فى اللفظ إشعار به .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيميه (١٣ / ٢٦٨) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٥ / ٥٥١) وكتاب : " الرمزية الصوفية فى القرآن الكريم " ص (٤٤) د / سيد عبد التواب .

٤ – وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم ، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً[١] .

وأما الشيخ الزرقانى صاحب " مناهل العرفان " فيرى أن التفسير الإشارى يقبل بشروط خمسة :

١ – ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم .
٢ – ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر .
٣ – ألا يكون تأويلاً بعيداً سخيفاً .
٤ – ألا يكون له معارض شرعى أو عقلى .
٥ – أن يكون له شاهد شرعى يؤيده .

ثم يستطرد بعد ذلك فيقول : كذلك اشترطوا .. بيد أن هذه الشروط متداخلة فيمكن الاستغناء بالأول عن الثالث ، وبالخامس عن الرابع . ويحسن ملاحظة شرطين بدلهما .

أحدهما : بيان المعنى الموضوع له اللفظ الكريم أولاً .

ثانيهما : ألا يكون من وراء هذا التفسير الإشارى تشويش على المفسر له ..

ثم إن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب ، وليست شروطاً لوجوب اتباعه والأخذ به . ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن ، ثم إن له شاهداً يعضده من الشرع ، وكل ما كان كذلك لا يرفض . وإنما لا يجب الأخذ به لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه ، بل هو من قبيل الإلهامات التى تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ، ولا مقيدة بقوانين . أ . هـ[٢] .

والخلاصة أن التفسير الإشارى إذا أوغل صاحبه فى الإشارات الخفية ، والمعانى الغريبة صار ضرباً من التجهيل والإلباس ، ومثل هذه الإشارات لا نصيب لها من القبول . ولكن إذا كان استنباطاً حسناً توافق مقتضى ظاهر العربية ولها شاهد يشهد بصحتها من غير معارض . تكون مقبولة عند أكثر العلماء .

ولا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين ، وعباده الصالحين . بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه ، واتباعهم ما يحبه ، ما لا يفتح به على غيرهم . وهذا كما قال على : " إلا فهما يؤتيه الله عبداً فى كتابه "[٣] ، وفى الأثر : " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم "[٤] .

---

(١) مباحث فى علوم القرآن للشيخ القطان ص (٣٦٨) .
(٢) مناهل العرفان (٨١١٢) .
(٣) رواه أحمد فى المسند (١ / ٧٩) والبخارى كتاب العلم . باب : كتابة العلم . وكتاب الديات ، باب : لا يقتل المسلم بالكافر .
(٤) رواه أبو نعيم فى الحلية (١٠ / ١٣) عن أنس مرفوعاً وإسناده ضعيف كما فى الفوائد المجموع ص (٢٨٦) وقال أبو نعيم : ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم – عليه السلام – فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبى ﷺ فوضع هذا الإسناد .

وقد دل القرآن على ذلك فى غير موضع ، كقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ٦٦ – ٦٨] فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطاً مستقيماً[٤] .

ومن ذلك ما ثبت عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال : " كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وحد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم . فدعا ذات يوم فأدخله معهم . فما رئيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم . قال : ما تقولون فى قول الله تعالى : " إذا جاء نصر الله والفتح " ؟ فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ . قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له . قال : إذا جاء نصر الله والفتح – وذلك علامة أجلك – فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا . فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول[١] .

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث : وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم فى الإشارات ، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه فى العلم ، ولهذا قال على – رضى الله عنه – : " أو فهما يؤتيه الله رجلاً فى القرآن " أ . هـ[٢] .

وقوله : " وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم فى الإشارات " دليل على أن الإغراب فى القول والإبهام فى العبارة مما يراعى تلافيه فى التفسير الإشارى حتى لا يلتبس الفهم ويستغلق الأمر على القارئ والسامع . فمن الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها المفسر ألا يكثر من الأقوال المحتملة البعيدة والتفاسير الغريبة ، وألا يتكلف فى حمل الآية على مذهبه إذا كان ظاهره يخالفه ، كما لا يجوز الإقدام على تفسير كلام الله تعالى بمجرد ما يحدث فى النفس ، أو يسمع ممن لا عهدة عليه[٣] .

ويؤكد هذا المعنى ويشدد عليه ويحذر من تجاهله الإمام قطب الدين القسطلانى فى وصيته فيقول :

ومن الأدب فى حق القائل ألا يغرب فيما يعبر عنه من المعارف فإنه يؤدى إلى الافتتان به ، والواجب أن يكون الناطق رحمة ونعمة ، لا فتنة ونقمة .

ولأجل هذه الحكمة قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤]

---

(١) انظر : فتاوى ابن تيميه (١٣ / ٢٤٥) .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب : قوله " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " .

(٣) فتح البارى (٨ / ٦٠٨) .

(٤) انظر التحبير فى علم التفسير ص (٣٢٥ – ٣٣٤) .

فأخبر الله تعالى مؤدباً لنا ولمن سمع كلامه أن الرسل جاءت بالبيان ، لا بالإلباس والإشكال[1] .

نماذج من الإشارات المقبولة فى التفسير :

يمدنا الإمام الطوسى ببعض الإشارات المقبولة من كلام القوم فيقول : فأما الصحيح من ذلك فكما سئل أبو بكر الكتانى – رحمه الله – عن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩] فقال :

القلب السليم على ثلاثة أوجه ، طريق الفهم :

أحدهما : وهو الذى يلقى الله تعالى – عز وجل – وليس فى قلبه مع الله شريك .

الثانى : هو الذى يلقى الله تعالى وليس فى قلبه شغل مع الله عز وجل – ، ولا يريد غير الله تعالى .

الثالث : الذى يلقى الله – عز وجل – ولا يقوم به غير الله ، عزفنى عن الأشياء بالله ، ثم فنى عن الله بالله ومعنى قوله " فنى عن الله بالله " يعنى يذهب عن رؤية طاعة الله عز وجل ورؤية ذكر الله ، ورؤية محبة الله ، بذكر الله له ومحبته قبل الخلق لأن الخلق بذكره لهم ذكروه وبمحبته لهم أحبوه وبقديم عنايته بهم أطاعوه .

وكما سئل أبو بكر الواسطى – رحمه الله – عن قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الرعد : ٢٨] فقال : قلب المؤمن قلب يطمئن بذكر الله تعالى وقلب العارف لا يطمئن بسواه .

وكما سئل الشبلى رحمه الله ، عن قوله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] .

قال : أبصار الرؤوس عن محارم الله تعالى : وأما طريق الإشارة فعلى ما قال أبو العباس بن عطاء رحمه الله : الحق لا يوجد مع الذلل ، وأشار إلى قوله : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩]

وكما كان يشير الجنيد – رحمه الله – إذا سئل عن سكونه وقلة اضطراب جوارحه عند السماع إلى قوله : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨]

---

(١) انظر الدعوى والشطح عند الصوفية مع تحقيق رسالة فى المنع منها لقطب الدين القسطلانى " د / حبيب الله حسن ص ٨٢ .

فهذا وأشباه ذلك صحيح والله أعلم فقس على ما بينت لك ما تسمع من إشارات القوم ومستنبطاتهم ، حتى تميز بين الصحيح والسقيم ، والعاقل يستغنى بالقليل عن الكثير ويستدل بالشاهد على الغائب وبالله التوفيق[1] .

وقال أبو بكر الشبلى الصوفى لابن مجاهد : أين فى القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فسكت ابن مجاهد .

قال له : قل . قال : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة : ١٨][2]

ونقل هذا الإمام ابن كثير واستحسنه بقوله : وهذا الذى قاله حسن ، وله شاهد فى المسند للإمام أحمد حيث قال حدثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس قال : مر النبى ﷺ فى نفر من الصحابة وصبى فى الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ ، فأقلبت تسعى وتقول ابنى ابنى ! فسعت وأخذته ، فقال القوم : يا رسول الله ما كانت هذه لتلقى ابنها فى النار . قال : فخفضهم[3] النبى ﷺ فقال : لا ، والله ما يلقى حبيبه فى النار[4] . " تفرد به"[5]

أشهر المؤلفات فى التفسير الإشارى :

١ – (تفسير القرآن العظيم) لأبى محمد سهل بن عبد الله التسترى (٢٨٣ – وقيل: ٢٧٣هـ).

٢ – (حقائق التفسير) لأبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى (٤١٢هـ) .

٣ – (لطائف الإشارات) لأبى القاسم عبد الكريم القشيرى (٤٦٥هـ) .

٤ – (التفسير المنسوب) لابن عربى أبى بكر محمد بن على محى الدين الأندلسى (٣٦٨هـ) . وقيل : إن هذا الكتاب ليس لابن عربى بل هو من عمل عبد الرازق القاشانى المتوفى سنة (٧٣٠هـ) وإنما نسب لابن عربى ترويجاً له بين الناس ، وتشهيراً له بشهرة ابن عربى .

٥ – (عرائس البيان فى حقائق القرآن) لأبى محمد روزبهان بن أبى النصر الشيرازى سنة (٦٦٦هـ).

---

(١) اللمع ص (١٢٦) وما بعدها بتلخيص .

(٢) الموافقات (٣٠ / ٣٣٨) .

(٣) خفضهم : سكنهم وهدأهم .

(٤) مسند أحمد (٣ / ١٠٤) وقال فى المجمع (١٠ / ٢١٣) رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح .

(٥) تفسير ابن كثير (٣ / ٦٤) .

٦ – التأويلات النجمية) لنجم الدين أبي بكر بن عبد الله الرازى المعروف بداية ، وأحمد بن محمد السمنانى الملقب بعلاء الدولة المتوفيان (٦٥٤ – ٧٣٦ هـ) على الترتيب .

هذه أهم التفاسير الإشارية المحضة ، والتى اعتنى فيها أصحابها بإبداء الإشارات الصوفية ومواجيدهم ، ولم يشيروا إلى التفسير الظاهر .

ومن المفسرين من جعل غالب همته فى التفسير الظاهر ، وتعرض للتفسير الإشارى تعرضاً ضمنياً كما فعل الإمام نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى فى " غرائب القرآن ورغائب الفرقان " والإمام الألوسى فى تفسيره " روح المعانى " .

ومنهم من سار عكس هذا المنهج ، فجعل التفسير الإشارى هو الغرض الأول من تفسيره وتعرض أحياناً للتفسير الظاهر ، كما فعل أبو عبد الله التسترى فى تفسيره .

المبحث الثانى
الشطحات فى التفسير

الشطح فى اللغة : يقال : شطح فى السير أو فى القول : تباعد واسترسل ، و (الشطحة) يقال لفلان الصوفى : له أحوال وشطحات[1] .

وقال الإمام الطوسى : إن سأل سائل فقال : ما معنى الشطح ؟ فيقال : معناه عبارة مستغربة فى وصف وجد فاض بقروته ، وهاج بشدة غليانه وغلبته . وبيان ذلك أن الشطح فى لغة العرب : هو الحركة ، يقال : شطح يشطح إذا تحرك . ويقال للبيت الذى يحوزون فيه الدقيق ، المشطاح . وإنما سمى ذلك البيت " المشطاح " من كثرة ما يحركون فيه الدقيق فوق ذلك الموضع الذى ينخلونه به ، وربما يفيض من جانبيه من كثرة ما يحركونه .

فالشطح : لفظة مأخوذة من الحركة ، لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوى وجدهم فعبروا عن وجدهم ذلك بعبارة يستغرب سامعها ، فمفتون هالك بالإنكار والطعن عليها إذا سمعها وسالم ناج برفع الإنكار عنها والبحث عما يشكل عليه منهما بالسؤال عمن يعلم علمها ، ويكون ذلك من شأنها[2] .

وقال الجرجانى : الشطح : عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ، تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب ، وهو من زلات المحققين ، فإنه دعوى حق يفصح بها العارف ، لكن من غير إذن إلهى بطريق يشعر بالنباهة[3] .

ومهما يكن من تعدد لمدلولات الشطح فى اللغة والإصطلاح فإن مرادنا فى بحثنا هذا ما يتعلق بالبعد فى التفسير والغرابة فى التأويل مما لا يشهد له دليل ولا وجه له من معنى أصيل بل يعد من الدخيل الذى ينبغى التحذير منه فى التفسير .

ومن ثم – يمكن أن يقال : إن الشطح فى التفسير معناه : عبارة عن كلام فى التفسير ابتعد به صاحبه عن حقيقة التفسير وأصول التأويل . مما يخالف النقل ويباين العقل .

أنواع الشطح :

ولقد أوضح الإمام الغزالى مغبة هذا الاتجاه فى تفسير القرآن . فذكر أن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل ، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى ، وكلام رسوله ﷺ وإليك ما قاله بنصه :

---

(١) المعجم الوسيط مادة (شطح) .

(٢) اللمع ص (٤٥٣) .

(٣) التعريفات للجرجانى ص (١٦٧) رقم (٨٢٦) .

وأما الشطح : فنعنى به صنفين فى الكلام أحدثه بعض الصوفية :

أحدهما : الدعوى الطويلة فى العشق مع الله ، والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة ، حتى ينتهى على دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب ، والمشاهدة بالرؤية والمشاهدة بالخطاب ...

الصنف الثانى : من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر زائفة ، وفيها عبارات هائلة ، وليس وراءها طائل ، إما أن تكون غير مفهومة عن قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر .

وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم ، وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس فى الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان ، أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه ، وقد قال ﷺ : " ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم "(١) ، وقال ﷺ " كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله "(٢)

وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع ، فكيف فيما لا يفهمه قائله ، فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره .

وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه فى الشطح ، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عند ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الإفهام فائدة ، كدأب الباطنية فى التأويلات ، فهذا أيضاً حرام ، وضرره عظيم ، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى . وكلام رسوله ﷺ فإن ما يسبق منه على الفهم لا يوثق به ، والباطن لا ضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تتريله على وجوه شتى ، وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة الضرر . وإنما قصد أصحابها الإغراب ، لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلزمه له ، وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتتريلها على رأيهم . ومثل تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه : ٢٤] إنه إشارة إلى قلبه وقال : هو المراد بفرعون ، وهو الطاغى على كل إنسان !! وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [القصص : ٣١] أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه !!

---

(١) رواه العقيلى فى (الضعفاء) وابن السنى وأبو نعيم فى (الرياء) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما قال العراقى فى تخريج الإحياء (١ / ٨٣) ورواه مسلم فى مقدمه صحيحة عن ابن مسعود موقوفاً .

(٢) رواه البخارى موقوفاً على على بن أبى طالب ، فى ترجمة الباب كتاب العلم باب (٤٩) ورفعه الديلمى فى مسند الفردوس رقم (٢٦٥٦) وكنز العمال رقم (٨ / ٢٩٣) .

وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره ، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء ، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً ، كتتريل فرعون على القلب ، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له ، كأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار ، وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه .

وكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ، ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ، ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم .

ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ بل الشر فى تأويل هذه الألفاظ أعم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية) أ . هـ[1] .

ويرى ابن خلدون أن كلام المتصوفة فى أربعة مواضع ، فذكرها على الترتيب وقال : ... ورابعها : ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمنكر ومحسن ، ومتأول .

... ثم يستطرد بعد فيقول : وأما الألفاظ الموهمة التى يعبرون عنها بالشطحات ويأخذهم بها أهل الشرع فاعلم أن الإنصاف فى شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور فمن علم منهم فضله وإقتداءه حمل على القصد الجميل من هذا . وان العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها .

ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه . وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر فى حسه ولم يملكه الحال فمؤاخذ أيضاً . ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لأنه تكلم فى حضور وهو مالك لحاله والله أعلم . أ . هـ[2] .

وهذه الشطحات والطامات فى التفسير من كيد الشيطان الذى ألقاه إلى جهال المتصوفة وأبرزه لهم فى قالب الكشف من الخيالات ، فأوقعهم فى أنواع الأباطيل والترهات . وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات . وأوحى إليهم : أن وراء العلم طريقاً إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان وأغناهم عن التقيد بالسنة ولغة القرآن . وكلما ازدادوا بعداً وإعراضاً عن القرآن وما جاء به الرسول ﷺ كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم[3] .

---

(١) الإحياء (١ / ٨٤) وما بعدها بتلخيص .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص (٥٢٣ – ٥٢٤) بتلخيص .

(٣) اغاثة اللهفان (١ / ١١٠) بتصرف يسير وتلخيص .

ويشير ابن تيميه فى " مقدمة فى أصول التفسير " إلى صنفين من المفسرين الذين يخطئون فى الدليل تارة وفى المدلول تارة أخرى . أو فيهما معاً فيقول : وأما الذين يخطئون فى الدليل لا فى المدلول ، فمثل كثير من الصوفية ، والوعاظ ، والفقهاء وغيرهم : يفسرون القرآن بمعان صحيحة لكن القرآن لا يدل عليها ، مثل كثير مما ذكره أبو عبد الرحمن السلمى فى " حقائق التفسير " . وإن كان فيما ذكروه ما هو معان باطلة فإن ذلك يدخل فى القسم الأول . وهو الخطأ فى الدليل والمدلول جميعاً حيث يكون المعنى الذى قصدوه فاسداً[1] . وينقل هذا الكلام السيوطى فى " الإتقان " ويقول : " وهو نفيس جداً "[2] .

ومن أمثلة الخطأ فى الدليل والمدلول . استدلال بعض المتصوفة بقوله تعالى :﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ ﴾ [ص : ٤٢] على جواز الرقص .

فهذا المثال اشترك فى أمرين :

الأول : فساد القول الذى أريد تقريره .

الثانى : انعادم دلالة النص على ما ذكر . فهذا غلط مركب من هذين الأمرين .

وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة ، وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء . قال ابن عقيل : أين الدلالة فى مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص[1] .

هذا .. وقد يكون ما قصده بعض الصوفية من المعنى حقاً ، لكنهم غلطوا فى الدليل دون المدلول . ومن أمثلة ذلك تفسير بعض المتصوفة قوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾ [الروم : ٥٠]

قالوا : أى : القلوب تحيى بالذكر . فهذه القضية التى ذكروا وهى حياة القلوب بالذكر ، قضية صحيحة لكن الآية السابقة لا تدل عليها ، وإنما داخلهم الغلط باستدلالهم بتلك الآية على غير موضوعها .

التحذير من الشطحات فى التفسير :

لا ريب أن جهلة الصوفية والمتسترين بهم ، كان لهم دور فى إشاعة الشطحات والتزيد فيها ، مما حدا بالعلماء الأجلاء – ومنهم المتحققون من أهل التصوف – إلى التحذير منهم ، والتشنيع عليهم . وأشار الإمام الغزالى إلى هذا فقال : شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص (٩٢) .

(٢) الإتقان (٢ / ١٢٠٤) .

(٣) تلبيس إبليس ص (٢٩٩) وانظر ما قاله الدكتور / محمد سعيد البوطى فى " فقه السيرة " ص (٣١٥) عن بدعة الرقص عند جهلة المتصوفة .

التصوف من المنسوبين إلى التصوف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين ، وذهبوا إلى أنه كفر[1] .

وحذر الإمام أبو حيان فى مقدمة تفسيره من أقاويل الباطنية ، وتفاسير الصوفية فقال : " .. وربما ألمت بشئ من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ " وتجنبت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التى يحملونها الألفاظ ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ الغريبة عن مدلولاتها فى اللغة إلى هذيان افتروها على الله وعلى على – رضى الله عنه – وعلى ذريته ، ويسمونه علم التأويل . أ . هـ

وقال السيوطى : ويحرم تحريماً غليظاً أن يفسر القرآن بما لا يقتضيه جوهر اللفظ كما فعل (ابن عربى) المبتدع الذى ينسب إليه كتاب " الفصوص " الذى هو كفر كله[2] .

وقد كان لأحد أعلام التصوف الكبار وهو الإمام سهل بن عبد الله التسترى موقف واضح من الجهلة المحسوبين على التصوف حيث حذر منهم وأمر باجتنابهم والبعد عنهم فقال : " اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس : " الجابرة الغافين ، والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين "[3]

وأوصى بعض مشايخ الصوفية أحد مريديه فقال له : يا بنى . ليس غير بذل الروح . فإن قدرت على ذلك وإلا فلا تستغل بترهات الصوفية[4].

ولهذا كان الشيخ أبو العباس بن زروق الفاسى (٨٨٩هـ) أحد أعلام التصوف ، والذى لقبه بعض المؤرخين بمحتسب الصوفية بمعنى المتتبع لأقوالهم وأفعالهم . كثيراً ما يحذر من الشطحات التى تنزلق بأصحابها إلى هاوية الضلال فتبعدهم عن الحقيقة فيقول : مراعاة اللفظ لتوصيل المعنى لازم كمراعاة المعنى فى حقيقة اللفظ ، فلزم ضبط المعانى فى النفس ، ثم ضبط اللسان فى الإبانة عنها . وربما كفر وبدع وفسق محقق لقصور عبارته عن توصيل مقصده بوجه سليم عن الشبه ، وأكثر ما وقع هذا الفن للصوفية . حتى كثر الإنكار عليهم أحياء وأمواتاً لأن النظر لصرف الحقيقة مخل بوجه الطريقة .

فمن ثم وقع لقوم فى الطامات ، وتكلموا بالشطحات حتى كفر من كفر ، وبدع من بدع وفسق من فسق ، بواضح الشريع ولسان العلم ، ظاهراً وباطناً ، فلزم التحفظ فى القبول ، بأن لا يؤخذ إلا عن الكتاب والسنة ، وفى الإلقاء بأن لا يلقى إلا بوجه السائغ فيهما من غير منازع . وإلا فلا عتب على منكر استند لأصل صحيح . وقد قال أبو سليمان الدارانى – رضى الله عنه : " إنها لتقع النكتة من كلام القوم فى قلبى أياماً . فأقول : لا أقبلك إلا بشاهدى عدل :

---

(١) إحياء علوم الدين (١ / ٤٣٧) واللمع ص (٢٣٧) .

(٢) التحبير فى علم التفسير ص (٣٢٦) .

(٣) إحياء علوم الدين (٢ / ٢٣٥) .

(٤) اللمع ص (٢٣٧) .

الكتاب والسنة[1] . وأراد بـ " النكتة " كلمة الحكمة ، وبـ " القوم " الصالحين ممن اشتهر بالخير وكان ابن الإعرابى – من علماء الصوفية – " لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجة "[2] . والإمام الغزالى يرى أن من آداب الصوفى : قلة الإشارة ، وترك الشطح فى العبارة ، والتمسك بعلم الشريعة[3] .

لأن هناك غلاة من المتصوفة نهجوا على طريقة الإسماعيلية والباطنية والقرامطة وطائفة من الفلاسفة فى تحريف الكلم عن مواضعه وراجت مقالاتهم على أقوام ضعفاء العقول ، سفهاء الأحلام ، فأحدثوا مصطلحات سخيفة استمالوا بها من لا فهم لديه ولا دراية ، ولا علم عنده ولا هداية . كما أشار إلى ذلك الإمام قطب الدين القسطلانى[4] . ثم قال : أولئك االذين عناهم الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى أحد مشايخ الصوفية المتقدمين – بقوله : " نقضوا أركان التصوف ، وهدموا سبلها ، وغيروا معانيها بأسامى احدثوها ، فسموا الطمع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصاً ، والخروج عن الحق شطحاً ، وما كان هذا طريق القوم[5] .

ونسجل هنا كلمة الشيخ عبد الحليم محمود – رحمه الله – الذى يقول فيها : نرى كثيراً من المتصوفين يخالفون الفقهاء فى بعض الآراء وأراد فريق منهم أن يضفى شرعية على منهجه فى التفسير ، فأنشأ ما يسمى بالمعنى " الظاهر " والمعنى الباطن ورجع بالبحث – فى سبيل ذلك إلى قصص الخضر وموسى وتاريخهما فى القرآن فى رأى هؤلاء المتصفين – يبرر هذا الموقف من التفسير ولكن يتضح مما قالوا أنهم غالوا وشطوا فى الاعتماد على : " المعنى الباطن " فإن ما يسمى بالمعنى " الباطن " ليس فى الواقع سوى تفسير للنصوص بما يتفق والآراء الشخصية ، وكان هذا منهج الإسماعيليين والباطنية عامة " أ . هـ[6] . نسأل الله عز وجل أن يهدينا سواء السبيل ويسلك بنا سلوك عباده المتقين

نماذج من الشطحات المرزولة فى التفسير :

وأعجب العجب أن رجالاً دخلوا فى التصوف وهم من غير أهله ، وتظاهروا بالورع والطاعة ، وتحلوا بالزهد الكاذب . والورع المصطنع ، وكان لهؤلاء – على فرط جهلهم – محاولات فى التفسير لا يقبلها عقل ولا يقرها شرع . ولا يمكن بأى حال أن يتحملها النص القرآنى الكريم .

---

(١) قواعد التصوف ص (١٢٤) وما بعدها بتصرف وتلخيص وانظر مقدمة الكتاب . وسير أعلام النبلاء (١٠ / ١٨٣) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٥ / ٤١٠) .

(٣) الأدب فى الدين ص (١٥٨) ط مكتبة الجندى .

(٤) انظر : الدعوى والشطح عند الصوفية مع تحقيق رسالة فى المنع منهما لقطب الدين القسطلانى " د / حبيب الله حسن ص ٨٣ .

(٥) المرجع السابق ص (٨٤) .

(٦) انظر كتاب : " أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبى " ص (٩٢) ط : دار المعارف .

فمن ذلك الهراء : ما نقله السيوطى فى الإتقان وغيره عن بعض جهلة المتصوفة أنه فسر قوله تعالى فى الآية ٢٥٥ من سورة البقرة : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ فقال : إن معناه من ذل – أى من الذل – " ذى " إشارة النفس " يشف " جواب " من " من الشفا " ع " فعل أمر من الوعى !![1] .

ويقصد هنا الجاهل بتحريفه هذا أن من أذل نفسه يشفع عند الله . وغفل عن الاستثناء الذى يصنعه . كما غفل – الجهله – عن أن فعل ذل لازم[2] . وهذا النوع من التأويل الذى سلكه غلاة المتصوفة وغيرهم فى تفسير النصوص القرآنية . إلحاد فى كتاب الله عز وجل ، وتحريف للكلم عن مواضعه تحريفاً بغيضاً ، وتأويلاً فاحشاً . وإخراجاً للنص عن معناه الصحيح الذى وضع له . وصاحبه داخل فى وعيد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [فصلت : ٤٠] .

قال ابن عباس فى تفسير الإلحاد : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه .

واعتبر السيوطى هذه التفاسير ونحوها إلحاداً فى آيات الله ، وتفسير للقرآن بما لا يقتضيه جوهر اللفظ . كما فى الإتقان وغيره[3] ، وقال فى الإكليل : " فيه الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ كما يفعله الباطنية ، والاتحادية ، وغلاة المتصوفة "[4] .

ويمدنا الإمام الطوسى بشئ من هذه الشطحات المرزولة والتى تعد تحريفاً للكلم عن مواضعه فيقول فى باب " وصف من أصاب فى الاستنباط والإشارة ، والفهم فى القرآن ، ووصف من ﷺ وأخطأ فى ذلك ، ما نصه :

" وأما ما قال الناس عن طريق الاستنباط والفهم ، فالصحيح من ذلك : أن لا تقدم ما أخر الله تعالى ، ولا تؤخر ما قدم الله ، ولا تنازع الربوبية ، ولا تخرج عن العبودية ، ولا يكون فيه تحريف الكلم .

وهذا حكى عن بعضهم كما: أنه سئل عن قوله عز وجل:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] فقال : معناه : ما ساءنى الضر !! .

وبلغنى عن بعضهم أيضاً ، أنه سئل عن قوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ [الضحى : ٦] فقال : معنى اليتيم : مأخوذ من الدرة اليتيمة التى لا يوجد مثلها !! .

---

(١) انظر : الإتقان (٢ / ١٢١٩) والتحبير فى علم التفسير ص (٣٢٥) و " الاتجاهات المنحرفة فى التفسير " للشيخ الذهبى ص (٨١ – ٨٢) .

(٢) بدع التفاسير ص (٢٢) للشيخ أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغمارى ط : مكتبة القاهرة .

(٣) انظر : الإتقان (٢ / ١٢١٩) والتحبير فى علم التفسير ص (٣٢٥) .

(٤) الإكليل فى استنباط التنزيل ص (٢٢٩) .

وكما سئل آخر عن معنى قوله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف : ١١٠] .
فقال : معناه أنا بشر مثلكم عندكم فهذا وأشباه ذلك خطأ وبهتان وخسارة على الله تعالى ، وجهل وقلة مبالاة . وهو تحريف للكلام عن مواضعه . فهذا هو السقيم[١] .

وقال الإمام أبو حفص بن شاهين : تكلمت طائفة من الصوفية فى نفس القرآن بما لا يجوز فقالت فى قولـه : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] فقال : هم لآيات لى ، فأضافوا على الله تعالى ما جعله لأولى الألباب . وهذا تبديل للقرآن .
وقالوا : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ ﴾ [سبأ : ١٢] قالوا : ولى سليمان[٢] !!

ونختم هذه الشطحات بهذا التفسير الغريب والتأويل العجب الذى أشار إليه الشيخ محمد الغزالى فى إحدى مؤلفاته بقوله :

وقد يفسرون القرآن فتسمع منها الغرائب . معانى لا صلة لها بـدلالات الألفـاظ ولا بتركيب اللغة ، ولا بالمأثور عن رسول الله ﷺ ولا بالمروى عن أصحابه الذين يتعلمـون منـه ، ومشوا فى أثره اسمع هذا التفسير الخرافى لسورة النصر (إذا جاء نصر الله) اى المدد الملكـوتى ، والتأييد القدسى بتجليات الأسماء والصفات (والفتح) المطلق الذى لا فتح وراءه وهو فتح باب الحضرة الأحدية ، والكشف الذاتى بعد الفتح المبين ، فى مقام الروح بالمشاهدة . (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله) أى التوحيد والسلوك على الصراط المستقيم بتأثير نورك فيهم ، عند فراغك من تكميل نفسك (أفواجاً) أى مجتمعين كأنهم نفس واحدة . (فسبح) أى نـزه ذاتـك مـن الاحتجاب بمقام القلب إلى الترقى فى حق اليقين . (بحمد ربك) : أى حامداً له بإظهار كمالاتـه وأوصافه التامة عند التجريد بالحمد العقلى . (واستغفره) واطلب ستر ذاتك بذاته ، كما كـان حال الفناء قبل الرجوع إلى الخلق أبداً (إنه كان تواباً) قابلاً لرجوع من رجع إليه بإفنائه بنوره . ولما كمل الدين ، واستقرت دعوته طولب الرسول بذلك أى بالرجوع إلى مقام اليقين الذى يستمر إلى ما بعد الموت !!

نقول وسورة النصر هذه لها قصة معروفة مشهورة بين عمر بن الخطاب وابن عباس رضى الله عنهما لكن هذا المفسر المتصوف سلك طريقاً لا يعرفه شيوخ الصحابة ولا ابن عباس ولا أمير المؤمنين عمر ، ولا تطيقه معانى الألفاظ . ولا توحى به صياغة الجمل ولا سناد لـه مـن علـم ، اللهم إلا شرود قائله . وهذا الهراء لا يسمى تفسيراً ولا يقبل القول به أحد . وأسوأ ما فيه أنه فتح لباب الفتنة والتأويل الباطل لدين الله ، وأنه هجم على القرآن العزيز . ما لا يليق أن يصدر مـن مسلم) أ . هـ[٣] .

---

(١) اللمع ص (١٢٦) .
(٢) تلبيس إبليس ص (٣٨٨) .
(٣) انظر كتاب " الجانب العاطفى من الإسلام " ص (١١) بتلخيص . ط : نهضة مصر .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

فمن خلال هذا البحث المتواضع تجلت لنا عدة نتائج من أبرزها :

١ – لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل . قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، وقال سبحانه : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٦٩] . فمن قال فى القرآن بما سنح فى وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ .

٢ – لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً . ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر .

٣ – كل ما خالف دلالة اللفظ الظاهر بدون قرينة مردود لا يقبل . فقس على هذه القاعدة كل ما تجده من جزئيات فى تفاسير المتصوفة وغيرهم .

٤ – يقبل من الإشارات التفسيرية ما كان قريباً غير بعيد . مقبولاً غير متكلف وكان فى دائرة الشرع واللغة التى نزل بها القرآن . ولم يكن فى الظاهر ما يغنى عنه مما هو أظهر بياناً ، وأوضح برهاناً .

٥ – ما كتبه المحققون من أهل التصوف من إشارات ليس لها علاقة مباشرة بالنص القرآن . فضلاً عن أن تكون هذه العلاقة مؤسسة على قاعدة لغوية أو عقلية فى تفسير القرآن ولكنها خواطر تخطر لهم عند التلاوة أو دقائق تنكشف لهم بإشارات خفية . ثم يدونون تلك الخواطر أو الدقائق على أنها أذواق ومواجيد وليس تفسيراً للقرآن .

٦ – أن جهلة المتصوفة والمتسترين بهم كان لهم دور واضح فى إشاعة الشطحات والتزيد فيها . مما أزعج أهل التصوف الحق قبل خصومهم . وكثير من هذه الشطحات مشكوك فى صحة صدورها ممن نسبت إليهم .

٧ – الأحاديث التى تذكر فى إثبات الباطن للنصوص – بمفهومه الباطن – إما ضعيفة لا يقوم الاستدلال بها . أو صحيحة لكنها غير متجهة لم يحمل معناها على المفهوم الصحيح .

هذا ... وبالله التوفيق والصلاة والسلام على البشير النذير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أ . د / أبو عمر نادى بن محمود حسن الأزهري

أهم مصادر البحث

١ ــ الإتقان فى علوم القرآن الإمام جلال الدين السيوطى .دار ابن كثير دمشق
٢ــ إحياء علوم الدين الإمام أبو حامد الغزالى . دار التقوى
٣ــ أستاذ السائرين الحارث المحاسبى الشيخ عبد الحليم محمود . دار المعارف
٤ــ بدع التفاسير أبو الفضل عبد الله الغمارى . مكتبة القاهرة
٥ــ البرهان فى علوم القرآن الإمام بدر الدين الزركشى . دار المعرفة
٦ــ التحبير فى علم التفسير الإمام جلال الدين السيوطى . دار العلوم
٧ــ التفسير والمفسرون الشيخ محمد حسين الذهبى . مكتبة وهبة
٨ ــ تلبيس إبليس أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى .دار العقيدة
٩ــ جامع البيان فى تأويل القرآن الإمام محمد بن جرير الطبرى . دار المعرفة
١٠ــ الجانب العاطفى من الإسلام الشيخ محمد الغزالى . نهضة مصر
١١ــ الدر المنثور فى التفسير المأثور الإمام جلال الدين السيوطى . دار الكتب العلمية
١٢ــ الدعوى والشطح عند الصوفية د / حبيب الله حسن . مصر للخدمات التعليمية
١٣ــ روح المعانى فى تفسير القرآن الإمام الآلوسى البغدادى . دار إحياء التراث
١٤ــ رسالة فى المنع من الدعوى والشطح قطب الدين القسطلانى تحقيق د/حبيب الله . مصر للخدمات التعليمية
١٥ــ سير أعلام النبلاء الحافظ شمس الدين الذهبى . مؤسسة الرسالة
١٦ــ صحيح البخارى الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى . دار الريان
١٧ــ قانون التأويل الإمام أبو بكر بن العربى . دار الغرب الإسلامى
١٨ــ قصة التفسير أ / أحمد الشرباصى . وزارة الثقافة
١٩ــ قضية التصوف الشيخ عبد الحليم محمود . دار المعارف
٢٠ــ قواعد التصوف أبو العباس أحمد بن زروق الفاسى . دار الكتب العالمية
٢١ــ فيض القدير الشيخ عبد الرءوف المناوى . دار المعرفة
٢٢ــ اللمع أبو نصر السراج الطوسى . مكتبة المثنى بغداد

٢٣ــ مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . ط : عبد الله النجدى
٢٤ــ مسند الإمام أحمد الإمام أحمد بن حنبل . المكتب الإسلامى
٢٥ــ المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية . مجمع اللغة العربية
٢٦ــ مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون . المكتبة التوفيقية
٢٧ــ مقدمة فى أصول التفسير أحمد بن تيمية . دار الصحابة
٢٨ــ مناهل العرفان فى علوم القرآن الشيخ عبد العظيم الزرقانى . دار إحياء التراث
٢٩ــ الموافقات أبو إسحاق إبراهيم الشاطبى . دار المعرفة